

الأميرة المصرية

وهل كسبت شيئا بتعلم الفتاة.

فم الآتية الأديبة حميدة قتل

هذا العنوان غريب ؛ فقد يدهش له البعض ، وقد يعتبرونه سؤالاً قاسياً ، ولكن هذا هو الحق مع الأسف ؛ وسببه أن تعليم الفتاة لم يوجه الوجهة الصالحة ؛ ولم تلاحظ مصالحة الأميرة المصرية في برامجها ، ولم تكن الأمومة الصالحة وجهته .

وعند ما ارتفعت الأصوات تطالب بتعليم المرأة حسب الناس أن مصر ستجنى طيب الثمرات ؛ وأنها ستنتج جيلاً جديداً عميق الإحساس بالوطنية ، غيراً على الكرامة القومية وكانوا يرتبونها من الأم المتعلمة أنها ستحمي من الجليل الحديد الفردية والأثرة وسائر الصفات التي غرستها الأمومة الجاهلة في الأجيال الماضية .

والآن وبعد كذا من السنوات تعلمت فيها المرأة وشاركت الرجل في الثقافة ، نجت عن الأم الصالحة وعن الجليل الحديد الذي انتظره الوطن بفارغ الضرب وعلق عليه الآمال العظيمة . فلا نجد شيئاً .

ذلك أن الأم المتعلمة لم تتعلم واجبات الأمومة ولا أصول التربية ، ولكنها تعلمت أشياء أخرى لا تحتاج إليها كثيراً في مملكة البيت ، وبقيت جاهلة بشؤون هذه المملكة كالتى لم تتعلم شيئاً .

وكانت المهمة الأولى المنتظرة من الأم المتعلمة أن تغرس في نفوس أبنائها من معاني الوطنية والقومية ما عجزت عنه الأم الجاهلة التي كانت معذورة في عجزها ، فإذا صنعت الأم المثقفة ؟ لقد تعلمت لتحتقر وطنها وتهزأ بكل ما هو مصرى ! إن كلمة مصر وكلمة الوطن لا تذكرهما إلا في معرض السخرية والتهكم ؛ وهي لا تشتري لوازمها إلا من المصنوعات الأجنبية والمحال الأجنبية . فخورة بذلك أمام صديقاتها وأطفالها ، بينما تحط من قدر المصنوعات المصرية فتغرس في نفوسهم احتقارها .

وهي تباهى دائماً بأنها تعرف لغة أجنبية وتحدث بها في كثير من الأحيان وتهزأ باللغة العربية لأنها لغة «ناشفة» ولا تتكلم بها إلا إذا دسست فيها بعض كلمات من اللغة «الناعمة» .

لم تكن الأم الجاهلة تعلم أبناءها التضحية لأنها لم تكن تعرفها ولا تفهم معناها ، وقد عرفت الأم المتعلمة . ولكنها لم تكن يغرسها في نفوس أطفالها . بل هي بجديتها وتصرفاتها تعاملهم كل يوم أن يأخذوا كل شيء ولا يعطوا شيئاً .

سالت صبية لها أم متعلمة تعليماً كاملاً : أتجدين مصر ؟ قالت : لا ! أنا أحب حلوان .
ولما أفهمتها بعد جهد أن مصر ليست القاهرة بل هي المملكة المصرية كلها ، أجابت
برود وهي تهز كتفها : أحبها ! وكانت تمسك بلعبة فقلت لها : من أين اشتريت هذه
اللعبة ؟ فذكرت لي اسم محل أجنبي . فسألتها : لماذا لم تشتريها من شركة بيع المصنوعات ؟
فقلت : ما ما تقول المحلات الأفريقية أحسن ، فدايعتها قاتلة : إذا كانت مصر تحتاج إلى
هذه اللعبة فهل ترضين بإعطائها لها ؟ فكان جوابها " يا سلام . ليه ياني أديها لها .
وأنا مشتريها بفلوس كتيرة " .

وهذه الصبية نموذج للجيل الجديد الذي تنشئه الأمهات المتعلمات .

أما التربية الخلقية فلست أبلغ إذا قلت إن الأم الجاهلة كانت فيها حيرا من الأم المتعلمة .
فلأولى كانت غالباً محافظة على دينها وتقاليدها ، وكانت تنقل أبناءها هذه المحافظة بالقدوة
على الأقل ، أما الأم الجديدة فقد نبذت كل ذلك . ثم لم تأخذ من التقاليد الغربية إلا قشورها
ومظاهرها الفاسدة . وهي تربي أبناءها على مبادئ هذه المدنية كما فهمتها فينشأون مستهترين .
المدنية عندهم هي ملابس وزينة وحفلات وارتياح للسنيها والملاهي .

لم تكن الأم الجاهلة تهتم بالإشراف الدقيق على الأطفال في حركاتهم وأفعالهم ، لأنها
لم تعرف أن أخلاق الطفل تتكون في سنواته الأولى ولم تعرف أن اللعب أكبر مدرسة
لتكوين خلق الأطفال . ولقد علموا الفتاة لتتدارك هذا النقص ، ولكن تعليمها الحاضر لم
يجد شيئاً ، فهاهم أطفالها يهملون في حركاتهم وأفعالهم ، وهي مشغولة عنهم بشؤونها الخاصة ،
بمواعيدها وزياراتها ، " بيروقات فسائدها " بتتبع "بحر الأزياء " والمودات " بتجربة أنواع
" الثواليت " وطرقة أما أطفالها ففي يد الخدم إن كانت الأم من طبقة غنية ، أو مع
زملائهم وزميلاتهم يلعبون في الطارقات بلا رقيب إن لم تكن من ذوات الخدم والحشم
يتعلمون في هذه الألعاب كل ما يطبعهم على الغش والخداع والحلف الكاذب لأتمة الأسباب .

شاهدت مرة طفلتين تلعبان لعبة " القولة " (الخلوط المتقاطعة وقطعة الحجر تنقل
بالقدم) و غفلة عن أمهما وكانت كبراهما تحاول الغش في اللعب لتتصر على الصغرى ،
بالتقوير في الخلوط وبإخفاء الأخطاء ، فهل تدرك الأم مدى جنابة لعب كهذا على مستقبل
فتاتها يوم تستخدم هذا الغش في حياتها اليومية ؟

الأم المصرية جاهلة أو متعلمة لا تفكر في أن بين يديها أمانة لوطنها الذي أنشأها ولدى
تدين له بكل شيء - أمانة يجب أن تؤديها له على أكل وجهه . والذنب في هذا ليس ذنبها
ولكنه ذنب الجهل حين كانت جاهلة ، وذنب التعليم الحاضر حين أصبحت متعلمة ، ذلك
التعليم الذي يبعدها كل البعد عن طبيعتها وعن إعادتها لوظيفتها في الحياة

حميدة قطب